قال الله تعالى لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم رؤف رحيم وعلى الثلثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم

بالايمان حتى يتبين لهم الحدود والفرايض فاذا تركوا ذلك ولم يروا حقا عذبهم الله ثم ونزع عنهم المعرفة
ويقال وما كان الله ليضل قوما على الابتداء حتى يتبين لهم ما يتقون فيصيروا ضلالا وهذا طريق المعتزلة
والاول اصح ثم قال ان الله بكل شيء عليم يعني بكل ما يصلح للخلق قوله تعالى ان الله له ملك السموات والارض
يعني يحكم فيهما ما يشا بالامر بعد الامر ثم يامر بغيره ويقر ما يشا فلا ينسخه يحيي ويميت يعني يحيي الموتى
ويميت الاحيا وما لكم من دون الله يعني من عذاب الله من ولي يعني من قريب ينفعكم ولا نصير يعني مانع يمنعكم
نصاري وقال الكلبي يحيي ويميت يعني يحيي في السفر ويميت في الحضر يعني ان هذا ترغيب في الجهاد لكي لا تمتنعوا مخافة
القتل والموت قوله تعالى لقد تاب الله على النبي يعني تجاوز الله تعالى عن النبي عم اذ اذن للمنافقين بالتخلف
كقوله عفا الله عنك لم اذنت لهم ويقال تاب الله على النبي يعني غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر كما ذكر
في اول سورة الفتح ثم قال والمهاجرين والانصار يعني تجاوز عنهم ذنوبهم لما اصابهم من الشدة في ذلك
الطريق في نفقتهم فقال والذين اتبعوه في ساعة العسرة يعني وقت الشدة في غزوة تبوك كانت لهم العسرة
في اربعة اشياء في النفقة والركوب والحر والخوف من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم يعني عدلت قلوب
طايفة منهم عن الخروج الى الغزو ويقال من بعد ما كادوا ان يرجعوا من غزوتهم من الشدة ويقال هم قوم
تخلفوا عنه ثم خرجوا فادركوه في الطريق ثم تاب عليهم يعني تجاوز عنهم انه بهم رؤف رحيم قرا حمزة وعاصم في رواية
حفص يزيغ بالياء بلفظ التذكير والباقون بالتاء بلفظ التانيث ولفظ التانيث اذا لم يكن حقيقيا جاز التذكير
والتانيث لان الفعل المقدم فيجوز التذكير والتانيث قوله تعالى وعلى الثلثة الذين خلفوا يعني وتاب الله
على الثلثة وهو كعب بن مالك ومرارة بن ربيع وهلال ابن امية قال الفقيه سمعت ابي رح يذكر باسناده عن معمر
عن الزهري عن عبد الله بن كعب ابن مالك عن ابيه قال لم اتخلف عن النبي عم في غزوة غزاها حتى كانت غزوة تبوك الا
بدرا ولم يعاتب النبي عم احدا تخلف عن بدر انما خرج يريد العير فخرجت قريش مغيثين لعيرهم فالتقوا على غير
علم لم اتخلف عن النبي في غزوة غزاها حتى كانت غزوة تبوك وهي اخر غزوة غزاها فاذن للناس بالرحيل واراد
ان يتاهبوا اهبة غزوهم وذلك حين طاب الظلال وطابت الثمار وكان قلما اراد غزوة الا ورى بغيرها وكان يقول
الحرب خدعة فاراد غزوة تبوك ان يتاهب الناس اهبتهم وانا ايسر ما كنت قد جمعت راحلتين وانا اقدر شيا في نفسي على الجهاد
وخفة الحاذ وانا في ذلك اصبوا الى الظلال وطيب الثمار فلم ازل كذلك حتى قام النبي غاديا بالغزاة وذلك يوم
الخميس وكان يحب ان يخرج يوم الخميس فاصبح غاديا فقلت انطلق غاديا الى السوق غدا فاشتري جهازي ثم الحق بهم

فانطلقت الى السوق من الغد فعسر علي بعض شاني فرجعت فقلت ارجع غدا ان شا الله فالحق بهم فعسر علي بعض
شاني فلم ازل كذلك حتى التبس بي الذنب وتخلفت عن رسول الله فجعلت امشي في الاسواق واطوف في المدينة
فيحزنني ان لا ارى احدا تخلف الا رجلا مغموصا عليه في النفاق وكان جميع من تخلف عن رسول الله بضعا وثمانين
رجلا ولم يذكرني النبي عم حتى بلغ تبوك فلما بلغ قال ما فعل كعب بن مالك فقال رجل من قومي خلفه يا رسول الله برداه
والنظر في عطفيه فقال معاذ بن جبل بئس ما قلت والله يا نبي الله ما نعلم منه الا خيرا فلما قضى النبي غزوة تبوك
وتوجه قافلا ودنا من المدينة جعلت اتذكر بماذا اخرج من سخطة رسول الله واستعين على ذلك بكل ذي راي من اهلي
حتى اذا اقبل النبي عم زاح عني الباطل وعرفت ان لا انجو الا بالصدق ودخل النبي عم ضحى فصلى في المسجد ركعتين وكان اذا جا
من السفر فعل ذلك فدخل المسجد فصلى ركعتين ثم جلس فجعل ياتيه من تخلف فيحلفون له ويعتذرون اليه فيستغفر لهم
ويقبل علانيتهم ويكل سرايرهم فدخلت المسجد فاذا هو جالس فلما راني تبسم تبسم المغضب فجيت فجلست بين يديه
فقال الم تكن ابتعت ظهرك فقلت بلى يا رسول الله قال ما خلفك قلت والله لو اني بين يدي احد من الناس غيرك جلست
لخرجت من سخطته علي بعذر لقد اوتيت جدلا ولكني قد علمت يا نبي الله اني ان اخبرتك اليوم بقول تجد علي فيه وهو حق
فاني ارجو فيه عفو الله وان حدثتك حديثا ترضى عني فيه وهو كذب يوشك ان الله ان يطلعك علي والله يا نبي الله ما كنت قط
ايسر ولا اخف حاذا حين تخلفت عنك قال اما هذا فقد صدقكم فقم حتى يقضي الله فيك فقمت فثار على اثري ناس من قومي يؤنبونني
فقالوا والله ما نعلمك اذنبت ذنبا قط قبل هذا فهلا اعتذرت الى النبي عم بعذر يرضى عنك فيه وكان استغفاره
سيايتيك من وراء ذلك ولم تقف نفسك موقفا لا تدري ما يقضى لك فيه فلم يزالوا يؤنبونني حتى هممت ان ارجع فاكذب
نفسي فقلت هل قال هذا القول احد غيري قالوا نعم فقلت من هو قال هلال بن امية ومرارة بن ربيع فذكروا رجلين
صالحين قد شهدا بدرا لي فيهما اسوة فقلت والله لا ارجع اليه في هذا ابدا ولا اكذب نفسي قال فنهى النبي عم عن كلامنا
ايها الثلاثة قال فجعلت اخرج الى السوق فلا يكلمني احد فتنكر لنا الناس حتى ما هم بالذي يعرفه وتنكرت لنا
الارض حتى ما هي بالتي يعرف وكنت اقوى اصحابي فكنت اخرج واطوف بالاسواق واتى المسجد واتى النبي عم فاسلم
عليه فاقول هل حرك شفتيه بالسلام فاذا قمت اصلي الى سارية فاقبلت على صلوتي نظر الي بمؤخر عينيه فاذا نظرت
اليه اعرض عني واستكان صاحباي فجعلا يبكيان الليل والنهار ولا يطلعان روسهما فبينما انا اطوف بالسوق
فاذا رجل نصراني جا بطعام له يبيعه يقول من يدلني على كعب بن مالك فطفق الناس يشيرون الي فاتاني واتاني
بصحيفة من ملك غسان فاذا فيها اما بعد فانه قد بلغني ان صاحبك قد جفاك ولست بدار مضيعة ولا هوان

٧ الى الله تعالى

Copyright © King Saud University